المبحث التاسع

أيام قبل الحرب

* قبل أيام من بدء الحرب اجتمعت جولدا مائير مع مسئول عربى كبير وقا بتنبيهها بأن مصر وسوريا يزمعان القيام بعمل عسكرى قريبا ضد إسرائيل ، إلا أن جولدا مائير لم تأخذ هذا التحذير على محمل الجد «كما جاء فى الكتب الإسرائيلية بعد الحرب والتى وصفت تلك الشخصية العربية بالصديقة» وذلك لقناعتها الزائفة التى أوجدناها لديها بان احتمال الحرب بعيد أو هو أمر لا تقوى عليه مصر، ويعترف الإسرائيليين أنهم علموا قبل ساعات من بدء المعارك أن هناك تحركات مصرية تتم وغنها تحركات تستدعى إعلان التعبئة ، إلا أن حالة الغموض وعدم التأكيد من هدف التحركات فى إطار التأكيد المعلوماتى المسبق الذى أوجدناه لديهم بان مصر غير قادرة على الحرب ، هذا بالإضافة إلى التجربتين الخادعتين فى مايو وأغسطس 1973، هذه المعطيات أوجدت لدى الإسرائيليين نوعا من التانى فى قرار إعلان التعبئة العامة انتظارا لما ستسفر عنه الأحداث ، وذلك لأنهم ركزوا على نوايا مصر وقدراتها بالشكل الذى صنعناه لهم.

– الأوضاع الداخلية لها دور كبير فى تحقيق المفاجأة الإستراتيجية ، فقد كانت تلك الأوضاع صعبة للغاية طوال العام الذى سبق حرب أكتوبر 1973 فالجميع غاضب وفقد القدرة على الانتظار أو حتى الاستعداد ، والجميع يريد أن ينهى وضع الجمود من حالة اللاسلم واللاحرب ،وهو ما ترجمته ردود أفعال الجماهير تجاه تشكيل الحكومة الجديدة فى أول عام الحكومة هى حكومة إعداد الدولة للحرب والتى كنت فيها نائبا عن الرئيس السادات لرئاسة الحكومة وإعداد الدولة للحرب وكذا وزير الإعلام ، وقد ساهمت الأحداث والإعلانات فى عامى 1971،1972 بأنهما أعوام الحسم وإنهاء الجمود بأن تجعل الناس يفقدون الثقة تدريجيا فى قدرة الحكومة على فعل أى شىء ،

الأمر الذى ترجمته الجماهير فى عدد وحجم المظاهرات الشعبية طوال عام 1973 وقبل أيام قليلة من اندلاع المعارك ، وكانت المظاهرات تردد هتافات معادية للرئيس السادات والحكومة وتصف المسئولين إما بالانهزامية وإما بالخيانة وتوجه لهم أفظع الشتائم ، وقد كانت تلك المظاهرات من الكبر من حيث العدد والحجم ، وتم نقل أحداثها إلى إعلام بعض الدول العربية والأوربية وهذا كان فى الحقيقة جزاء مكملا لخطة الخداع، وكان الهدف من نقلها إلى الإعلام الأجنبى إقناع الجميع وأولهم إسرائيل «أن مصر وإن كانت ترفض الوضع القائم وشعبها يغلى من هذا الوضع ، ولا يطيق تحمله أكثر من ذلك ،إلا أنها عاجزة عن المباداة بعمل عسكرى كبير لاسترداد الأرض المسلوبة والكرامة المهدرة،وإن المسئولين المصريين يدركون ذلك ولا يستطيعون البوح به صراحة ، لكنهم يكتفون ببعض الشعارات والتصريحات الجماهيرية فى البداية ، ثم توقفوا عنها هى الأخرى فى عام 1973 وتوقف أى حديث أو تصريح رسمى عن الحرب ، وبالفعل عبرت وسائل الإعلام الإسرائيلية عن ذلك ، وكانت تهلل مع كل مظاهرة فى مصر بان المسئولين المصريين غير قادرين على إتخاذ قرار العمل الحربى ، لأنهم لو كانوا قادرين لما انتظروا وهم يرون ويسمعون مطالب ومشاعر وغضب الشعب، وهذا التموية والخداع الجما هيرى لم يكن التعامل معه بالأمر السهل وأيضا استغلاله للخداع والتمويه أمر بالغ الصعوبة ،فقد ورثت حكومة أكتوبر التى كنت رئيسها نيابة عن الرئيس السادات حالة اليأس والإحباط منذ هزيمة يونيو 1967 وما بعدها .

– كانت بعض المظاهرات من العنف وتخرج عن الإطار المتوقع لها ، بل وفى احيان كثيرة تأتى بنتائج عكسية عل الروح المعنوية للجيش من ناحية وللشعب بشكل عام من ناحية أخرى ، ومن أصعب المواقف الخاصة بالمظاهرات الجماهيرية عام 1973 تلك التى قادها المثقفون المصريون بشكل غير مباشر من خلال ما عرف وقتها «ببيان المثقفين » ،إذ أن تأثيره كان كبيرا ، وكان يمكن أن يأتى بتداعيات داخلية لا يمكن السيطرة عليها ، وإن كان قد جاء بآثار إيجابية ضمن خطة الخداع الإستراتيجى ، بعد ان تم توزيعه على الصحافة العربية